فلما نهي عن الصلاة عليهم ترك هذه الأربع أيضاً خلاف ما يروى، فإنها صورة الصلاة وقد نهي عنها مطلقاً[١] اللّهم إلا أن يعني من الصلاة الدعاء.

ذلك ومما يزيد الصلاة عليهم ترجيحاً حرمة أقاربهم المؤمنين وجذب آخرين من المنافقين إلى الإيمان، قضية هذه الرحمة الواسعة الإسلامية.

فلو أنه صلى على عبد الله بن أبي رأس المنافقين وبعث بقميصه ليكفن فيه، أم وقام على قبره - وذلك قبل نهيه عن هذا وذلك - لم يكن بذلك موبّخاً مؤنّباً، بل وكان ترك الصلاة قبل نهيه محظوراً، مهما انقلب بعد نهيه محبوراً، فإنه ﷺ وقف لأمر الله ونهيه، دون هواه أم أهواء من سواه إلا سبيل الله وهداه.

إذاً فكيف يتجرأ عمر أن ينهى رسول الله ﷺ عما أمره الله وإن كان ينهاه الله بعد، ينهاه ويجذب ثوبه هتكاً لساحته ومساً من كرامته؟ فهل هو أعلم منه بأحكام الله، أو أحوط منه على شرعة الله، وهل يعد ذلك - بعد - من مكارم الخليفة أن نزل وحي الله بعد على هواه، خلافاً لهوى رسول الله ﷺ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[٢].

إن هذه القولات الغولات إلا هرطقات حمقاء والله ورسوله منها براء، فإنها تفضيل رذيل لعمر على رسول الله ﷺ فالغريق يتشبث بكل حشيش.

هذا ومن غريب الهرطقات أن عمر ينهاه ﷺ عن الصلاة عليهم بعد نزول هذه الآية، ويكأنه ﷺ يعارض الوحي وعمر يحارزه؟[٣].

---

(١) المصدر عن الكافي عنه عن محمد بن مهاجر عن أمه عن أم سلمة قالت سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان رسول الله ﷺ إذا صلى على ميت كبر وتشهد ثم كبر وصلى على الأنبياء ثم كبر ودعا للمؤمنين ثم كبر الرابعة ودعا للميت ثم كبر وانصرف فلما نهاه الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين كبر وتشهد ثم كبر وصلى على النبيين صلى الله عليهم ثم كبر ودعا للمؤمنين ثم كبر الرابعة وانصرف ولم يدع للميت.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(٣) المصدر في الدلائل عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنه عبد الله=

فسواء أصلى عليه قبل نزول النهي عنها، أم وقف أمامه كهيئة المصلي عليه، فلا مغمز عليه في شيء منهما، وقد أجابه الرسول ﷺ في الثاني: «وما يدريك ما قلت له: فإني قلت له: اللّهم أحش قبره ناراً وسلط عليه الحيات والعقارب».

ذلك، والجهاد من أكبر الواجبات، والتقاعس والتواني عنه من أكبر المحرمات «فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أولياءه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه، ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء، وديّث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالإسهاب، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النّصف - ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلّا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، حتى شنّت عليكم الغارات، وملكت عليكم

= رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ فقام عمر بن الخطاب فأخذ ثوبه فقال يا رسول الله ﷺ أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي على المنافقين فقال: أن ربي خيرني وقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم..» وسأزيد على السبعين، فقال: إنه منافق فصلى عليه فأنزل الله ﴿وَلَا تُصَلِّ...﴾ [التوبة: ٨٤] أقول هنا متناقضة بين صدر الحديث وذيله ونسبة سوء الفهم إلى الرسول ﷺ في ﴿ٱسْتَغْفِرْ...﴾ [التوبة: ٨٠] فيا له من مختلق يراد منه تبجيل الخليفة وتخجيل الرسول ﷺ! وفي نور الثقلين ٢: ٢٥٠ في تفسير العياشي عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام توفي رجل من المنافقين فأرسل إلى ابنه أن إذا أردتم أن يخرجوا فأعلموني فلما حضر أمره أرسلوا إلى النبي ﷺ فأقبل نحوهم حتى أخذ بيد ابنه في الجنازة فمضى، قال فتصدى له عمر ثم قال: يا رسول الله أما نهاك ربك عن هذا أن تصلي على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره؟ فلم يجبه النبي ﷺ قال: فلما كان قبل أن ينتهوا به إلى القبر قال عمر أيضاً لرسول الله ﷺ: أما نهاك الله عن أن تصلي على أحد منهم مات أبداً أو تقوم على قبره؟ ذلك بـ ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤] فقال النبي ﷺ لعمر عند ذلك: ما رأيتنا صلينا على جنازة ولا قمنا له على قبر ثم قال: إن ابنه رجل من المؤمنين وكان يحق علينا أداء حقه، وقال له عمر: أعوذ بالله من سخط الله وسخطك يا رسول الله.

الأوطان، وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورغاثها، ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم، فلو أن إمرأ مسلماً مات بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً - فيا عجباً عجباً، والله يميت القلب ويجلب الهمّ اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون - فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حمّارة القيظ، أمهلنا يسبّح عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبّارة القرّ، أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفرّ - يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرّت ندماً، وأعقبت سدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم! وهل أحد منكم أشد لهما مراساً وأقدم فيها مقاماً مني، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع»[1].

ومهما يكن من شيء فلم يقف عمر موقفه في نهيه ﷺ إلّا محظوراً يدل على نقصه في إيمانه أو نقضه إيمانه أن يبادر الرسول ﷺ بلفظة قول أم جذبة ثوب تأنيباً عجيباً كأنه خالف وحي الله أم لم يعرف معناه!.

(١) (الخطبة ٢٧).

فالرسول ﷺ هنا بين حالات ثلاث: أنه صلى على ابن أبي دونما استغفار له لآية النهي عنه، وقبل آية النهي عن الصلاة، فقد أدّى واجبه، فكيف ينهى - إذاً - عن واجبه؟.

أم لم يصل عليه إذ سبقه النهي عن الصلاة، وإنما وقف أمامه كصورة المصلي، حرمة لابنه المؤمن وعلّه يؤمن بذلك ألف من المنافقين وقد آمنوا، وهو في الأول أولى، ولا تطارده: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[1] لأنها ليست بشأنه مع المنافقين، وأن هذه الملاينة هي ليست مع المنافق بل هي مع ابنه، ثم لا تعني - على أية حال - ركوناً إلى المنافقين، أو ترى إعطاء نصيب من الزكاة لهم تأليفاً لقلوبهم ركوناً إليهم، وقد أمر به الله! أم ترى وعد الغفران لهم إن تابوا ركوناً إليهم؟ وهو نص كتاب الله!.

أم صلى عليه دون استغفار بعد النهي عنها؟ وهذا مس من كرامته في عدالته فضلاً عن عصمته! ومهما اختلفت الروايات بين هذه الثلاث فهي متفقة على أمرين أمرين: أن عمر نهاه قبل النهي عن الصلاة وبعده، وكما اتفقت في أنه ﷺ أرسله بثوبه ليغطي به ولما ذكروا القميص قال: «وما يغني عنه قميصي، والله إني أرجو أن يسلم به أكثر من ألف من بني الخزرج»[2].

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

(٢) الدر المنثور ٣: ٢٦٦ - أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: وقف نبي الله ﷺ على عبد الله بن أبي فدعاه فأغلظ له وتناول لحية النبي ﷺ فقال أبو أيوب: كف يدك عن لحية رسول الله ﷺ فوالله لئن أذن لي لأضعن فيك السلاح، وأنه مرض فأرسل إلى النبي ﷺ يدعوه فدعا بقميصه فقال عمر: والله ما هو بأهل أن تأتيه، قال: بلى فأتاه فقال: أهلكتك موادتك اليهود، قال: إنما دعوتك لتستغفر لي ولم أدعك لتؤنبني، قال: اعطني قميصك لأكفن فيه، فأعطاه ونفث في جلده ونزل في قبره فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾=

أجل، ولماذا لا يبعث إليه قميصه ﷺ وقد طلبه وطلبه ابنه قضية وصيته، وابنه هذا من كرام المؤمنين، وقد يلمح طلبه قميصه أنه آمن واهتدى حتى أخبره جبرئيل أنه مات كافراً، ثم العباس عم النبي ﷺ لما أخذ أسيراً يوم بدر لم يجدوا له قميصاً وكان رجلاً طويلاً فكساه عبد الله قميصه، وهكذا المشركون لما قالوا له يوم الحديبية: إنا لا ننقاد لمحمد، فقال لا، إن لي في رسول الله أسوة حسنة، فقد يشكره الرسول ﷺ على هذه المواقف وكما يشكر ابنه على موقفه المشكور في الإيمان، ثم الله نهاه عن رد السائل.

أفلا يكفي كل ذلك مبرراً لإجابة طلبته في قميصه، وأن يصلي عليه - إن كانت قبل النهي عنها - أو يقف أمامه كهيئة المصلي وهو لا يصلي؟!.

أجل ﴿وَلَا تُصَلِّ... وَلَا تَقُمْ... إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فليس - فقط - الكفر بالله ورسوله مانعاً عن سماح الصلاة عليهم والقيام على قبرهم، بل ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن طاعة الله متظاهرين بباطن كفرهم، حيث الفسق يخص ظاهر التخلف، وتقدم الكفر هنا دليل أنه فسق الكفر، فحين يظهر الكفر من الفاسق والمنافق يلحق بالكفار الرسميين الخارجين عن كل أحكام الإسلام.

فلا مجرد الفسق يكفي ولا مجرد الكفر في الباطن دون تظاهر به، إنما هو الجمع بين كفر الباطن والظاهر، وأن يموتوا وهم فاسقون بذلك الكفر، فمن مات بكفر باطن دون ظاهر الكفر، أو مات بفسق دون باطن الكفر، فهما محكومان بمظاهر أحكام الإسلام اللّهم إلا ما استثناه الدليل كالصلاة عليه والقيام على قبره كما هنا.

= [التوبة: ٨٤]. . قال: فذكروا القميص، قال: وما يغني عنه قميصي والله لأرجو أن يسلم به أكثر من ألف من بني الخزرج.

ولا تعني الصلاة هنا فقط الدعاء فإن صيغته السائغة هي الدعاء، وقد سبق النهي عن الدعاء لمن تبين أنهم من أصحاب الجحيم، فهي - إذاً - الصلاة على الأموات، فقد كانت أربع تكبيرات دون دعاء قبل نزول هذه الآية، ثم منع عنها مهما ليس فيها دعاء.

ذلك، فالمستفاد من الآية حرمة الصلاة على الكافر منافقاً وسواه، إلا إذا لم يظهر الكفر حيث التكاليف مبنية على الظاهر وكما يروى عن النبي ﷺ: «نحن نحكم بالظاهر والله تعالى يتولى السرائر»، ثم ووجوبها على المسلم أياً كان، فـ «صل على من مات من أهل القبلة وحسابه على الله»[١] و«صلوا على المرجوم من أمتي وعلى القاتل نفسه من أمتي لا تدعوا أحداً من أمتي بلا صلاة»[٢].

ومهما كانت أمثال هذه الأخبار ضعيفة السند أو المتن فالآية هي قوية المتن والسند، ولم تستثن من واجب الصلاة على الأموات إلّا المنافقين الرسميين ﴿كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ سواء أكان كفرهم صراحاً خروجاً إليه بعد إسلامهم، أم خفية فإنهم كذلك كافرون مهما شملتهم أحكام الإسلام في الظاهر، ولكن الآية نصت على استثناء الصلاة عليهم والقيام على قبورهم والاستغفار لهم.

والولد البالغ ست سنين ولا سيما الذي يعقل الصلاة يصلى عليه لتظافر المعتبرة عليه، وهذا من قضايا إلحاق من لم يبلغ الحلم من المسلمين بمن بلغه.

---

(١) هو خبر أبي طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: صل.. (الوسائل كتاب الطهارة أبواب صلاة الجنازة ب ٣٧ ح ٢).

(٢) هو خبر السكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ: ... (المصدر ح ٣).

ذلك، والخبر المشهور للميت المسلم في «اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيراً» ليس يعني إلّا خير الإسلام فقط أمام سواه اللاإسلام ودون إسلام، لا وخير الأعمال، وإلّا كان كذباً بالنسبة لفساق المسلمين، أم كان المفروض ترك هذه الشهادة؟ وهي من ضمن الصلاة!.

فهؤلاء المنافقون لا كرامة لهم أحياء وأمواتاً، فلا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره...:

﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥﴾:

ولقد مضت نظيرتها (٥٥) بعد المنع عن قبول نفقاتهم بتلك المناسبة، وهنا تكرارها إلا بقليل من ألفاظها بعد منع الصلاة عليهم والقيام على قبرهم، فلا تكرار في متطلّب الموقف مهما كان تكراراً في لفظ الآية.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ
ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ
ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٠﴾ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا
عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا
مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ
تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ
عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ
وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ
إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى
ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ
إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾:

﴿سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا﴾ قد تعني إلى ﴿سُورَةٌ﴾ كاملة تحمل الأمر بالإيمان والجهاد، مجموعة آيات تحملهما، بل ولا سورة في القرآن كاملة تحمل أمرهم بالإيمان والجهاد، فإن سورة «المنافقون» الخاصة بهم لا تحملهما، فالمعني من ﴿سُورَةٌ﴾ هنا هو مجموعة من آيات تعني غرضاً واحداً.

﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: بسعة في المال وقوة في البدن، حيث الطول يعمهما، فرغم أنهم الذين يجب عليهم أن يستقدموا نراهم يستأخرون قائلين: ﴿ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

هم يقولون ﴿ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ الذين قعدوا عن القتال معذورين، ولكنهم في الحق قاعدون مع سائر الخالفين:

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾:

﴿الْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة وتاءها للتأنيث اعتباراً بأنهن النساء،[1] وسائر الضّعفان، والمعذورين مهما كانوا من أشجع الشجعان المناضلين.

وذلك لأنهم أجمع يظلون في أمكنتهم دون خروج للحرب مهما اختلفت أعذارهم، ومنهم غير معذورين.

(١) نور الثقلين ٢: ٢٥١ في تفسير العياشي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٨٧] فقال: النساء إنهم قالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣] وكان بيوتهم في أطراف البيوت حيث ينفرد الناس فأكذبهم الله قال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣] وهي رفيعة السمك حصينة.

ومن الخالفين النساء حيث يقمن في دور الحي بعد رحيل الرجال، سمّين بها تشبيهاً لهن بالأعمدة تكون في أواخر البيوت المضروبة، لأنهن كماهيه خوالف في البيوت لكثرة لزومهن إياها.

أم وهي للمبالغة، وهم المتخلفون على مكنتهم بدنياً ومالياً، فالخوالف تشمل المتخلفين قاصرين ومقصرين، وكون القادرين على الخروج كالخوالف المتخلفين قصوراً أو تقصيراً تنديد بهم شديد فـ ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أكثر ممن سواهم «فهم يفقهون» الحقائق المعنية، وفاعل الطبع هنا هم أنفسهم، ثم الله طبع على قلوبهم بما طبعوا ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾[1] فـ «الخالفين» هنا تعني المقصرين منهم إلى القاصرين، وقد يعنى معهم العدول الصالحون.

فيا لهم - على طولهم - من بؤس وخذلان حيث رضوا بأن يكونوا مع الخوالف المتخلفين المقصرين والمخلفين القاصرين، فهم على طولهم بين مقصر وقاصر.

ذلك ومن ﴿ٱلْخَوَالِفِ﴾ الصالحين من خلّفهم رسول الله ﷺ من أشجع الشجعان كما خلف رسول الله ﷺ علياً في غزوة تبوك وهو يبكي ويقول تخلفني مع الخوالف فقال رسول الله ﷺ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة»[2].

ولأن ﴿رَضُواْ...﴾ هنا في موقف التنديد فالقصد من مثلث الخوالف - إذاً - هم دون الأخير المخلّف على قوته ليكون خليفة الرسول ﷺ بعد غيابه وحتى إيابه.

ذلك، وهنا «أن آمنوا» خطاباً موجهاً إلى المنافقين دليل أنهم ليسوا

(١) سورة الصف، الآية: ٥.
(٢) الدر المنثور ٣: ٢٦٦ - أخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص أن علي بن أبي طالب عليه السلام خرج مع النبي ﷺ حتى جاء ثنية الوداع يريد تبوك وعلي يبكي...